مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٣/٢٠١٢ هـ.ق، العدد ١٩ (٣) ٩٥-١١٢

أثر الحضارة الفارسيّة في شعر عديّ بن زيد العباديّ من منظور علم النفس الإجتماعي

حسين قائمي أصل[١]، نصرالله شاملي[٢]، سيد رضا سليمانزاده نجفي[٣]

تاريخ الوصول: ١٤٣٣/٢/٢٥ تاريخ القبول: ١٤٣٣/٨/١٩

عديّ بن زيد العباديّ من كبار شعراء العصر الجاهليّ العربيّ، وبما كان هذا الشاعر يجيد اللغتين العربية والفارسيّة أصبح من مترجمي البلاط الساسانيّ وكتّابه ثم عهدت إليه السفارة بين كسرى وبين قيصر الروم. هذا الاتّصال بالبيئة الحضريّة الساسانية والثقافة الجديدة زرع الثقة والنموّ في نفس الشاعر وأبعده عن بعض القيم السلبية السائدة بين العرب الجاهليّين وأحدث تغيراً ثقافيّاً كبيراً في سلوك الشاعر وتفكيره من خلال اكتسابه بعض مبادئ وأهداف وعلاقات إجتماعية ذات قيمة على المستويات الشخصيّة والإجتماعيّة والمهنيّة. هذا التغير السلوكي مصداق لِما افترضه إريك إريكسون في نظريته حول نموّ النفس الإجتماعيّ عند كل فرد يلمس تجارب جديدة من المجتمع وثقافته في مراحل العمر.

أخبار عديّ بن زيد العباديّ وأشعاره في كتب الأدب تؤكد على علاقة واضحة بين مراحل التقدّم في العمر عند البلاط الساسانيّ وإلتزامه ببعض المعايير الإجتماعية الحضارية وفقاً للتفاعل بين الشاعر وبيئته الثقافيّة كما اعتبره إريكسون في نظريته المعروفة ويمكن رصد هذه العلاقة من زاوية المعاني، والموضوعات والصوّر الشعرية عند الشاعر حتى ندرك ملامح الحضارة الفارسية في أسلوبه الشعريّ الذي قد يختلف عن شعراء العصر الجاهليّ.

الكلمات الرئيسية: عديّ بن زيد العباديّ، علم النفس الإجتماعي، الحضارة الفارسيّة، الحيرة، الشعر الجاهلي.

---

١. طالب دكتوراه في قسم اللّغة العربيّة، كليّة اللغات، جامعة إصفهان، ايران، E-mail: ghaemiasl@gmail.com

٢. أستاذ مشارک في قسم اللّغة العربيّة، كليّة اللغات، جامعة إصفهان، ايران.

٣. أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربيّة، كليّة اللغات، جامعة إصفهان، ايران.

المقدّمة

إذا بحثنا عن أقدم ما كتب حول بواعث الشعراء النفسيّة المتوارية خلف خطاباتهم الشعريّة، وجدنا الفيلسوف اليوناني أرسطو في آثاره أول من أشار إلى هذا الإتجاه وتنبّه إلى وجود صلة رحم بين النفس الإنسانيّة والأدب (فنّ الشعر، ١٩٧٣م، ص١٨). في القرن العشرين ومع ظهور مدرسة التحليل النفسيّ الغربيّة وبلوغها على يد «زيغموند فرويد»[1] حدث امتزاج بين منطلقات علم النفس والإتجاهات الفنيّة في دراسة الأدب حتى وصل الإتجاه النفسيّ في النقد الأدبي ودراسة الأبعاد النفسيّة للنص إلى مستوى عال من التطوّر والنضج وهذا كلّه كان متزامناً مع ظهور مدارس جديدة في علم النفس – ومنها علم النفس الإجتماعي– والتي اهتمّت بدراسة «الأنا»[2] الفردي في سياق المجتمع و«إريك إريكسون»[3] أحد أعلام هذه المدرسة الجديدة (انظروا: ياوري، ١٣٧٢هـ.ش، ص١٣٩).

يعتبر علم النفس الإجتماعي إحدى فروع علم النفس العام حيث يعتمد على دراسة السلوك الإجتماعي للأفراد في سياق تأثّرهم من الآخرين ومن ثمّ يمكننا أن نعرّف علم النفس الإجتماعي بأنّه دراسة علميّة للمناهج التي يتأثّر الإنسان بالمواقف والصلات أثناء تعاملاته في المجتمع (انظروا: صليبي، ١٣٧١هـ.ش، ص٢٥٣) بعبارة أخرى يركز في هذا الإتجاه على الخصائص الفردية في سياق الفئات الإجتماعية حتى يتبين لنا كيف يتأثّر الفرد بالقيم الإجتماعية السائدة في المجتمع (انظروا: سروستاني، ١٣٨١ هـ.ش، ص١٥٠).

بما أنّ الخطاب الشعري مرآة تعكس نفس صاحبه في السياق الإجتماعي فيمكن لنا أن نفسّر الآثار الشعريّة في ضوء ظاهرة التفاعل الإجتماعيّ؛ ذلك لأنّ الشعراء منذ نشأتهم يندمجون في بيئتهم الإجتماعية ويتفاعلون نفسياً مع الظروف التي يعيشونها فتنعكس هذه الظروف في شعرهم ضمن نظام من الإشارات الخاصّة. ومن هنا يأتي دور الناقد الحاذق الذي يأخذ بعض النماذج الشعريّة مادّة حتى يرسّم صورة نفسية من الشعراء معتمداً على ظروف بيئتهم وعصرهم وثقافتهم ويحاول ربط المعاني الشعرية ربطاً نفسياً بالإطار الثقافيّ والحضاريّ.

جدير بالذكر أنّ النقاد الذين يستخدمون منهج التحليل النفسيّ الإجتماعيّ في دراسة الأدب يشترط عليهم التركيز على نماذج من الشعراء والأدباء ترتبط ملابساتهم النفسية بنتاجاتهم الأدبيّة حتى تتصف البحوث بالموضوعية (كياني، ١٣٧٤هـ.ش، ص ٧٤) مثل ما نرى عند عباس محمود العقاد الذي استعان بأدوات التحليل النفسيّ وعقد دراسة حول الشاعر العباسيّ ابن الروميّ ودرس شخصية الشاعر وصوره الشعريّة من خلال بيئته ومجتمعه (انظروا: ابن الرومي، حياته من شعره، ١٩٧٠م، صص٨٥-٥٦). أو الدكتور محمد النويهي الذي استعان بالمنهج النفسيّ لتفسير اللاشعور الجمعيّ المتسلل في نتاج أبي نواس الشعريّ (انظروا: نفسيّة أبي نواس، ١٩٧٠م، صص٢٤-٢٠).

نظرية إريكسون في علم النفس الإجتماعيّ

يستخدم علم النفس الإجتماعيّ اليوم نظريات مختلفه لدراسة تكامل الشخصية الفردية خلال «دورة الحياة»[4] وأثرها في نوعية سلوك الفرد وأفكاره ومشاعره إزاء الآخرين وذلك بالتركيز على سلسلة متتابعة من التغيرات النمائية الشاملة لجميع الجوانب نحو اكتمال «النموّ الإنسانيّ»[5] في المجتمع حيث يرى بعض علماء علم النفس الإجتماعيّ أنّ شخصية

1. Sigmund Freud
2. Ego
3. Erik Erikson
4. Life Cycle
5. Human Growth

الفرد في الحقيقة عبارة عن كيان واحد يتكوّن من الجوانب النمائية في سياق ثقافة المجتمع (Berger, 2001: 32-78).

تمثّل نظرية «إريك إريكسون» في «نموّ النفس الإجتماعيّ»[1] واحدة من النظريات المعاصرة التي انصبّ اهتمامها على دراسة جانب النموّ النفسيّ مدى الحياة في سياق ثقافة المجتمع وتوقّعاته وقد اعتبرها بعض الباحثين من أهمّ النظريات التي أخرجت التحليل النفسيّ عن دائرة البيولوجي واهتمّت إلى تأثير جملة العوامل الإجتماعية الثقافية على النموّ النفس الإجتماعيّ (Markstrom. el at. 2007: 63-79) ومن أهمّها: الطبقة الإجتماعيّة، والأُمّة، والثقافة (اكبرزاده، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢١).

تبعاً لنظرية إريكسون إنّ نموّ النفس الإجتماعيّ للإنسان خلال دورة حياته يمرّ بثمان مراحل تمثّل حاجات حقيقية للفرد من حيث كونه ناتجاً عن التفاعل بين العوامل البيولوجية من جهة والعوامل الإجتماعية من جهة أخرى، والمرور بهذه المراحل بـ«أزماتها وفاعلياتها»[2] يؤثّر إيجاباً وسلباً على شخصية الفرد وسلوكه في الحياة وفي المجتمع (Erikson, 1980: 129).

هذه المراحل الثمان التي تمثّل الأربعة الأولى لـ«مرحلة الطفولة»[3] والخامسة لـ«مرحلة المراهقة»[4] والثلاث الأخيرة[5] لـ«مرحلة النضج»[6] تتحدّد عند إريكسون بـ«الأزمة»[7] وهذه الأزمة لا يقصد بها «كارثة»[8] بل هي أقرب ما تكون إلى كونها «نقطة تحوّل»[9] أو «فترة حاسمة»[10] في حياة الفرد تكون مصدراً لـ«زيادة قوته»[11] أو «سوء توافقه»[12] (Ibid,128-131).

ولتيسير الموضوع على القارئ رسمنا جدولاً في نهاية البحث يوضح مراحل العمر وأزماتها وفاعلياتها بالتفصيل حسب نظرية إريكسون التي أشرنا إليها في السطور السابقة (انظروا: جدول رقم١، ص١٥ من هذا البحث).

أهدف البحث

تهدف هذه المقاله تقصّي العلاقة بين الثقافة الفارسية – التي نشأت عديّ بن زيد العباديّ بين أحضانها– ونموّ التفكير الأخلاقيّ والسلوك الفرديّ لهذا الشاعر من خلال أشعاره وأخباره في المصادر التاريخية والكتب الأدبية. وفي كل ذلك تستخدم نظرية إريكسون في تحليلها الوصفيّ متقناً بالأدلّة التاريخية والشواهد الشعرية التي عثرت عليها في كتب الأدب.

خلفية البحث

بالنسبة إلى شخصيّة عديّ بن زيد العباديّ والدراسات العربيّة السابقة التي تناولت شعره، هناك كتاب تحت عنوان «عدي بن زيد العباديّ؛ الشاعر المبتكر» لـ«محمد علي الهاشمي» حيث اكتفى فيه الكاتب بخطوط عريضة لشعر الشاعر؛ إذ لايتحفنا إلا بمعلومات عامّة مثل إسمه ونسبه وشيء يسير عن أسرته وبيئته وفي معظم الأحيان تحدّث الكاتب عن الصور والمعاني الشعريّة التي حواها ديوان الشاعر. ولا نبخس أيضاً حق بعض الدراسات الفارسيّة حول الشعر الجاهلي وأثر الحضارة الفارسيّة فيه – خاصّة ما كتبه الأستاذ آذرنوش– وجئنا بتفاصيله في قائمة المراجع. ولكن البحوث التي سبقت هذه المقالة وفق المنهج

1. Psychosocial Development
2. Crisises & Virtues
3. Infancy & Younger Years & Early Childhood & Middle Childhood
4. Adolescence
5. Early Adulthood & Middle Adulthood & Later Adulthood
6. Ego integrity
7. Crisis
8. Catastrophe
9. Turning Point
10. Crucial Period
11. Strength
12. Maladjustment

النفسيّ في دراسة شعر عديّ بن زيد العباديّ معدومة على حسب معلوماتنا ولعلّ الميزة الأساسيّة لهذه المقالة اعتمادها على المنهج النفسيّ في دراسة حياة الشاعر وشعره.

عديّ بن زيد العباديّ؛ نشأته واتّصاله بالبلاط الساسانيّ

عديّ بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن مجروف بن عامر الذي يصل نسبه في كتب الأدب إلى نزار (الأصفهاني، ٢٠٠٨م، ٦٣:٢) فهو العباديّ نسبة إلى قبائل العباد التي كانت «قبائل شتى من بطون العرب، اجتمعوا بالحيرة على النصرانيّة» (ابن دريد، ١٩٩١م، ص١١). استناداً لما نقله صاحب الأغاني يتبيّن أنّ أسرة عديّ بن زيد العباديّ كانت عريقة، ذات مكانة مرموقة بين ملوك الحيرة فتمتّعوا من جوائزهم ورعايتهم (الأصفهاني، ٢٠٠٨م، ٦٤:٢) وكانت الحيرة آنذاك بمنزلة جسر لإتّصال العرب بالفرس وخاصّة بالبلاط الساساني. ولكن في الحقيقة كان وراء هذا الإتّصال بعض الأطماع السياسيّة؛ إذ كانت الدوله الرومانيّه قد سيطرت على بلاد الشام وبعض مناطق الجزيره العربيّه فاقتربت من حدود الدوله الساسانيّه (غنيم، ١٩٨٧م، صص ٤٨-٣٧) فكان الملوك الساسانيّون يتدخّلون في الحيره والشئوون السياسيّة القائمة فيها خدمة لمصالحهم الحكومية؛ كما أن ملوك الحيرة كانوا حكّامًا بالنيابة لكسرى الذي إتّخذهم حداً فاصلاً أو درعاً واقياً ضد الدوله الرومانيّه في بلاد الشام (شلبي، ١٩٩٦م، ص١٠٧، آيت الله زاده شيرازي، ١٣٥٨هـ.ش، ص١٣٧).

مثل هذا الإتصال السياسي ساعد بعض ساكني الحيرة – ومن بينهم زيد بن حماد والد شاعرنا عديّ– على الدخول في البلاط الساساني (آذرنوش، ١٣٧٤هـ.ش، ص١٨٧)؛ فالرواة قد نقلوا أنّ زيد بن حماد كان ذاصلة بالدهاقين الفرس وكان يتقن اللغتين العربيّة والفارسية وقد جعله كسرى الملك الساسانيّ على البريد في حوائجه في حين لم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاده (الأصفهاني، ٢٠٠٨م، ٦٥:٢) وهذا يدلّ على عظيمة مكانته عند البلاط الساساني.

يبدو من الأخبار الواردة في كتب الأدب أنّ زيد بن حماد انتهز الفرصة السانحة من علاقته مع الدهاقين الفرس وأرسل عديّاً مع أبناء المرازبة الفرس إلى كتّاب الفارسيّة؛ فأصبح عديّ بن زيد من أفهم الناس بالفارسيّة، وأفصحهم بالعربيّة وقال الشعر (م.ن) كما تثقّف بثقافة الفرس وتعلّم الرّمي بالنشاب، فخرج من الأساورة الرماة، وتعلّم لعب الفرس على الخيل بالصوالجة. وبعد مدة وجيزة حذق عديّ بن زيد في الكتابة فتوسّط المرزبان لدى كسرى، فأثبته هذا الأخير في الديوان، فكان عديّ أول من كتب بالعربيّة في ديوان كسرى (م.ن، ص٦٦).

إنّ اتصال عديّ بن زيد العباديّ بالبلاط الساسانيّ هو في الحقيقة بمثابة ما سمّاه إريكسون «نقطة تحوّل» أو «فترة حاسمة» في حياة الشاعر. هذه الفترة – أو الأزمّة بعبارة أخرى– حسب النموذج الإريكسوني تتّصف بكونها ذات «قطبيّة ثنائيّة»[1] وهما: «القطب الإيجابيّ»[2] و«القطب السلبيّ»[3] والحلّ المناسب للأزمة يعتمد على «الخبرة المتوازنة»[4] لهذين القطبين (Waterman & Whitboume, 1982:122) فحسب جدول رقم (١)كان من المتوقّع أن يكون الشاعر مفرطاً في القطب السلبيّ فيقصر في وظيفته أو على العكس يكون مفرطاً في القطب الإيجابي فيؤدّي الأمر إلى «محدوديّة الكفاية». أمّا الحالة الثالثة فهي الحلّ المناسب في هذه التجربة الجديدة واكتساب «فاعليّة القدرة» وهذا هو ما أنجزه الشاعر حسب

1. Two-Polar Aspects
2. Syntonic
3. Dystonic
4. Proper Balance

ما ورد في أشعاره وتؤيده كتب الأدب. على سبيل المثال عندما ينقل أبوالفرج الأصفهاني أخبار عديّ بن زيد العباديّ واتّصاله بالبلاط الساسانيّ على مساعدة أبيه، يدّعي أنّه كان من خواص كسرى قائلاً: «يؤذن له عليه في الخاصّة، وهو معجب به قريب منه وأبوه زيد بن حماد يومئذ حيّ إلاّ أنّ ذكر عديّ قد ارتفع وخمل ذكر أبيه» (الأغاني، ٢٠٠٨م، ٢:٦٦). قد يبدو أنّ أبا الفرج نفسه أيضاً كان معجباً بتلك المكانة التي اكتسبها عديّ وفاق بها على أبيه في حلبة البلاط الساساني حيث يؤكد أنّ مكانة عديّ قد ارتفعت بينما كان أبوه لازال حياً. إنّ الشاعر نفسه أيضاً في ديوانه يشير إلى دور أبيه في اتّصاله بالبلاط الساساني ونيله إلى تلك المكانة العظيمة فيقول:

وما دهري اطبانَّك غيرَ أنّي
بنى لي والدي بيتاً يفاعا (١)
أخذتُ بدأبه فورِثت عنه
مكارمَ لم تكن منه ابتداعا (٢)

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص٣٥).

لاشك في أنّ المجتمع الفارسيّ- وبالتحديد البلاط الساسانيّ- هيأ الظروف الملائمة لعديّ بن زيد حتى يتمتّع بالنموّ النفسيّ ويرتفع ذكره. ومثل هذا النموّ لايحدث إلّا للفرد الذي يحميه المجتمع ويوفّر له تجربة جديدة حتى تزدهر مواهبه. كما أشار إريكسون أيضاً في نظريته إلى دور المجتمع ومناخه الملائم في النموّ النفسيّ بقوله: «تمتّعُ الفرد بالأمل والإرادة والقدرة يجعله واثقاً في نفسه وما هذا كلّه إلا من المجتمع الذي يلعب دوراً بالغ الأهمية في مساعدة الفرد عن طريق توفير مناخ ملائم ممّا يساعده على اكتشاف ذاته ومعرفة قدرته (Erikson, 1963: 261-262 ; 1968: 128-129 ; Evans, 1967: 35-36).

النموذج الإريكسونيّ والمراحل الأولى من حياة عديّ بن زيد العباديّ

أمّا بالنسبة إلى شاعرنا عديّ بن زيد وتطبيق نظرية إريكسون على حياته؛ فهو جاوز المراحل الأولى من حياته في البلاط الساساني واستطاع أن يغترف من الثقافة الفارسيّة والخبرات السياسيّة السائدة في ذاك البلاط فاعتمد في اجتياز هذه المرحلة على مكتسباته السابقة حتى يلمس مرحلة جديدة من عمره ويكتسب هوية جديدة عند المجتمع الفارسي في مرحلتين المراهقة والشباب.

تحدّث إريكسون في نظريّته عن هاتين المرحلتين وفاعليّتهما في حياة الفرد؛ فإنّ الفرد في مرحلة المراهقة إذا نجح في الخبرة المتوازنة بين القطبين فيكسبه فاعليّة «التفانيّ»[1] عن طريق إدراكه لذاته ودوره في المجتمع وهذه الفاعليّة تعني إحساسه الإيجابيّ بالولاء والتعايش وابتعاده عن سلبيّات لايوافق عليها وأمّا بالعكس فعدم إدراك الفرد لذاته أو هويّته يؤدّي إلى اكتسابه «التعصّب»[2] أو«تجاهل الدور»[3] (Erikson, 1980: 129; Boeree, 2006:7) وهذا التعصّب له نتائج خطيرة على الفرد وعلى المجتمع بأكمله؛ لأنّ الفرد المتعصّب يرى أنّ طريقه وحده هو الصائب ويتصرّف كما يشاء دون اعتبار أيّ حقّ للآخرين (Boeree, 2006: 11).

أمّا مرحلة الشباب؛ فبما أنّ إريكسون كان مدار قوله في نظريته الإعتماديّة المتبادلة بين الفرد وبيئته الإجتماعيّة وما ينعكس عن ذلك في توجيه سلوك الفرد وأفكاره (Erikson, 1963: 272; 1968: 92) فيؤكد أنّ الفرد في مرحلة الشباب إذا توافق مع مجتمعه وانصهر في ثقافته وقوانينه سيكسبه فاعليّة «الحبّ»[4] وفي حالة العكس إلاّ عدم توافق الفرد مع المجتمع واعتزاله عن ثقافته يكسبه

1. Fidelity
2. Fanaticism
3. Role Repudiation
4. Love

فاعليّتين سلبيّتين أطلق عليهما إريكسون «الحصرية»[1] و«تعدّد العلاقات الجنسيّة»[2] (انظروا جدول رقم ١).

فقد ورد في كتب الأدب أنّ هرمز ابن كسرى حفظ لعديّ مقامه، بعد وفاة أبيه فقرّبه منه، وأكرمه إلى أن ولاّه مهمّة خطيرة أخرى في ديوانه وهو أن يكون سفيراً لكسرى إلى قيصر الرّوم (الأصفهاني، ٢٠٠٨م، ٢:٦٦). هذه المهمة السياسيّة في الحقيقة تحكي عن منــزلة عظيمة نالها عديّ بن زيد في البلاط الساسانيّ ودوره الرفيع في المناقشات السياسيّة؛ فهو حسب نظريّة إريكسون لم يكسبه فاعليّة «تجاهل الدور» أو «التعصّب» بل ابتعد تماماً عن هذين القطبين السلبيّين حتى عهدت له السفارة بين البلاطين الساساني والبيزينطي. أمّا أشعاره التي قد وردت في ديوانه تؤيد خبر سفارته أيضاً حيث أنّ الشاعر مكث زمنًا طويلاً في دمشق- الذي كان آنذاك تحت سيطرة الروم كما ذكرنا سابقاً- لذا ازداد شوقه لموطنه، فعبّر عن مشاعره بقوله:

رُبَّ دارٍ بِأَسفَلِ الجِزعِ مِن دَو
مةَ أَشهى إِلَيَّ مِن جَيرونِ(٣)

وَنَدامى لا يَفرَحونَ بما نا
لوا وَلا يَرهَبونَ صَرفَ المَنونِ

قَد سُقيتُ الشَمولَ في دارِ بِشرٍ
قَهوَةً مُزَّةً بِماءٍ سَخينِ(٤)

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص١٨٦).

قضى عديّ بن زيد شبابه في البلاط الساسانيّ وقصوره المليئة بالجواري والقيان والغناء؛ فكان مثل هذه القصور الفخمة تقتضي شعراً غزليّاً صادقاً يعبّر تعبيراً صريحاً عن تلك الحياة الطّليقة الغنيّة الحرة الّتي كان يحياها الشاعر في عنفوان شبابه. فجاءت صور عديّ الغزليّة غنيّة مترفة، تتألّق فيها ألوان الحضارة مثل قوله:

بَنَاتِ كرامٍ لَم يرَبنَ بِضُرَّةٍ
دُمًى شَرِقاتٍ بالعبيرِ روادعا (٥)

يسارِقنَ من الأستارِ طَرفاً مُفَتَّراً
ويبرزنَ من فَتَقِ الخُدورِ الأصابعا (٦)

(نفس المصدر، ص١٣٩).

الشاعر قد وصف النساء اللاتي ترعرعن في رغد العيش وأجسامهنّ ممتلئات تفوح منها رائحة الطيب وهنّ يسرقن عيونهنّ الفاترة من وراء الستور. مثل هذا الأسلوب الغزليّ بتراكيبه المتألّقة التي تشيع فيه الرقة والسّلاسة، يحكي عن الأثر الحضاريّ الذي كان سائداً في القصور الساسانيّة وما كان فيها من الجواري الحسان ورائحة العنبر. ولايبتعد أيضاً وصفه في القيان المتحضّرات عن هذا الأسلوب في قوله:

بيضٌ عَلَيهِنَّ الدِّمَقسُ وفي الأعنـــ
ـــاقِ مِنْ تحـــتِ الأكفّـــة درُّ(٧)

(نفس المصدر، ص١٢٧).

أو قوله:

ثانياتٌ قطائِفُ الخزِّ والدّيـــ
ـــباجِ فوقَ الخدورِ والأنماطِ(٨)

(نفس المصدر، ص١٣٨).

تحدّث الشاعر عن القيان المتزينات بالخلاخيل والأساورة وملابسهنّ الفاخرة من الدّمقس والدّيباج، كأنّه يصوّر لنا زخرفة قصور الساسانيّين كما قد أستخدم الألفاظ الفارسيّة في أشعاره مثل «ديباج» وهي كلمة فارسية أصله «ديو باف» أيّ «نسيج الجنّ» (المنجد، ١٩٧٨م، ص٣٧) أو «الدّمقس» الذي فارسي معرّب أصله «دمسه» (أدّي شير، ١٩٨٨م، ص٦٦).

1. Exclusivity
2. Promiscuity

نموذج آخر هو وصف الشاعر لثغر الحبيبة العذب ومبسمها الحلو:

إذْ هي تَسبي النّاظرينَ وتَجــ
ــلُو واضِحاً كالأقحُوانِ رَتِلِ[۹]
عَذباً كما ذُقتُ الجَنيَّ مِنَ التّفــ
ــّاحِ يَسقيهِ بـَـــردُ الطَّــلِ

(ديوان عديّ بن زيد، ۱۹٦٥م، ص۱٥۷).

إنّ ثغر الحبيبة الأبيض الجميل المنضّد قد سبا الشاعرَ؛ فمبسمها حلو ومقبلها عذبٌ عذوبة التّفاح الجنيّ الرّيان. إنّ الصورة الفنية في هذين البيتين قائمة على «تشبيه حضاريّ يشيع فيه عديّ نداوة الطّل ونضارة التّفاح الجنيّ وعذوبة طعمه» (الهاشميّ، ۱۹٦۷م، ص۲۱۰) وقد تأثّرت بما كان يراه الشاعر في البلاط الساساني؛ إذ كانت هذه الأوصاف والألفاظ حضاريّة تطلبها دواعي الحضارة والترف ممّا لاعهد للعرب بها. فهو حين يصف الخمرة يأتي أيضاً ببعض هذه التشابيه والعبارات الحضريّة التي لها جذور في البيئة الساسانيّة مثل قوله:

أيها القلـــبُ تعلّلْ بدَدَنْ
إنَّ هَمّي في سَمـــــــاعٍ وأُذُنْ[۱۰]
و شرابٍ خُسروانيّ إذا
ذاقَهُ الشّيخُ تغنّى وارجَحَنْ[۱۱]

(ديوان عديّ بن زيد، ۱۹٦٥م، ص۱۷۲).

إنّ هذه الأشعار تدلّ على أنّ عديّ بن زيد العباديّ تأثّر بالبيئة الإيرانيّة القديمة في أشعاره، كما أنّ هذه البيئة أبعدته عن بعض القيم السلبيّة السائدة في المتجمع الجاهليّ آنذاك؛ كما أنّنا لا نرى في ديوان الشاعر أيّ أثر من العصبيّة القبليّة ولا نرى أيضاً في شعره هجاء قبليّاً؛ لأنّ عديّ بن زيد «لم يكن بوقاً لقبيلة، ولا لساناً لكبير أو عظيم، وإنّما كان قيثارة لفكره وعواطفه وتأمّلاته إن صحّ التعبير. فلقد شدّ إلى قيثارة الشعر العربيّ الجاهليّ وتراً جديداً حين استجاب لهجسات نفسه وومضات تفكيره وعزف على هذه القيثارة ملء قلبه وحناياه» (الهاشميّ، ۱۹٦۷م، ص۲۷۲) وما هذا كلّه إلّا من الحضارة الفارسيّة التي كانت قد أثّرت في نفسية الشاعر وأبعدته عن العصبيّات القبليّة؛ فالمهمّة السياسيّة والترف الاقتصاديّ، وتطوّر الحياة الاجتماعيّة جعلت الشاعر كان يفكّر ويحسّ بروح غير الّتي كان يلمسه الآخرون.

عديّ بن زيد والدهاء السياسيّ؛ الإنتاجيّة مقابل الركود

قد يخطر على ذهن القارئ هذا السؤال وهو أنّ عديّ بن زيد العباديّ كيف انقضى عمره بعد الشباب أو بعبارة أخرى في مرحلتي أواسط العمر وأواخر العمر؟. للإجابة على هذا السؤال فلابدّ أن نرجع مرة أخرى إلى نظرية إريكسون؛ فمع أنّ المراحل الخمس الأولى في نظريّة أريسكون تقابل «مراحل النمو الجنسيّ»[1] التي افترضها زيغموند فرويد إلّا أنّ مراحل إريسكون تمتدّ إلى مابعد ذلك لتشمل دورة حياة الفرد بأكملها منذ ميلاده إلى شيخوخته» (Katchadourian, 1985:50; Evans, 1967:11-12) وفي هذه المراحل يؤكد على أنّ النموّ النفسيّ للفرد خلال هذه المراحل يتفاعل مع بيئته الخارجيّة المتمثّلة في الأسرة، المجتمع، والثقافة (Markstrom & Kalmanir, 2001: 179).

كان عديّ بن زيد العباديّ في أواسط العمر على صلة وثيقة بقصرين كبيرين هما: قصر المناذرة في الحيرة، وقصر الأكاسرة في المدائن وكان هذا الإتّصال قد جعله يطّلع على أسرار السّياسة فأصبح من دهاة العرب في ذلك العصر كما

1. Psychosexual Stages

أنّ سلوكه وتفكيره كان يختلف عن القرويّين الساكنين بالحيرة وبلغ إلى درجة من النموّ النفسيّ حتى أصبح أرقى فكراً ومدنيّة من سائر العرب فأراد أن يبني مركزًا هامّاً لنفسه عند البلاط الحيريّ أيضاً فجعل أصبح يهتمّ بماحوله دون أن يقع في الإفراط السلبيّ أو الإيجابيّ بل يكتسبه فاعليّة «الإنتاجيّة مقابل الركود»[1] حسب النموذج الإريكسونيّ (انظروا إلى جدول رقم١).

مات المنذر حاكم بلاط الحيرة وأراد الملك الساسانيّ أن يختار أحد أبناء المنذر لتولية العرش الحيري فجاء عديّ بن زيد العباديّ ينتهز الفرصة مستخدماً حيلة سياسيّة عجيبة حتى فاز نعمان بن المنذر- الذي كان بينهما صداقة وألفة- على العرش دون إخوته التسع الأخرين وقد وردت تفاصيل هذه الحيلة السياسيّة في بعض الكتب (انظروا: الأصفهاني، ٢٠٠٨م، ٢:٧١-٦٩؛ ابن قتيبه، ١٩٥٨م، ١:٢٢٨).

من البديهي أنّ عديّ بن زيد نفسه كان واقفاً بدوره الرئيسيّ في البلاط الساساني الذي كان يرصد الشئون العربيّة المتاخمة على حدوده دائماً وكان لديه تجارب قيمة من مهامّه السياسيّة في هذا البلاط فكان واثقاً بنفسه أنّه يستطيع أن يغير مصير العرش الحيري وهذه الثقة بالنفس لها مبرّرات في نظرية إريكسون؛ ذلك لأنّ مراحل نموّ النفس الإجتماعي تخضع لمبدأ «الإنبثاق المتعاقب»[2] وفق «خطّة قاعديّة»[3] وهذا يعني أنّ عمليّة النموّ الإجتماعي تتمّ بواسطة عوامل اجتماعيّة تؤثّر في تشكيل سلوك الفرد ونفسيته تبعاً لثقافة المجتمع الذي سيعيش فيه (Erikson, 1963: 271; 1968: 92). يفضي هذا التطوّر التـــدريجيّ في كل مرحلة إلى «بنية نفسيّة»[4] تعتمد على الأجزاء الســـابقة، كما يعتبر كـــل مرحلة بمثابة تمهيـــد لمظاهر النموّ الجديـــدة التي تبرز في المـــرحلة اللاحقة (Erikson, 1980: 5).

يبدو من الروايات التاريخية أنّ الملك الحيريّ لم يكن ينكر دور عديّ بن زيد العباديّ في استمرار حكمه وكان يكرم الشاعر بكل الحفاوة حيث إنّه إذا دخل على الملك الحيري قام جميع من عنده حتى يقعد عديّ (الأصفهانيّ، ٢٠٠٨م، ٢:٦٦) كما أنّ الأشعار الواردة في ديوان الشاعر تصدق الروايات التاريخية. فهو قد خاطب الملك الحيريّ بقوله:

وَكُنتُ لِزازَ خَصمِكَ لَم أُعَرِّد
وَقَد سَلَكوكَ في يَومٍ عَصيبِ(١٢)
أُعالِنُهُم وَأُبطِنُ كُلَّ سِرٍّ
كَما بَينَ اللِّحَاءِ إلى العَسيبِ(١٣)
فَفُزت عَلَيهِم لَمّا التَقَينا
بتاجِكَ فَوزَةَ القِدحِ الأَريبِ(١٤)

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص٣٩).

الشاعر يخاطب نعمان بن المنذر ويذكره كيف وقف بجانبه أمام الأعداء في ذلك اليوم الذي قرّر الملك الساساني حاكم العرش الحيريّ ويكني عن ذلك اليوم بـــ«اليوم العصيب» وقام بمسعاه المشهور حتى فاز النعمان بتاج العرش. وفي موضع آخر يخاطبه بقوله:

نَحنُ كُنّا قد عَلِمتُم قَبلَكُم
عُمُدَ البَيتِ وَأَوتادَ الإِصارِ(١٥)

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص٩٤).

فالشاعر في هذا البيت يشير إلى أسرته التي كانت ذا مكانة نبيلة في الحيرة وقد أيّد أبوالفرج هذا الموضوع بقوله:«وعديّ أنبل أهل الحيرة في أنفسهم، ولو أراد أن يملكوه لملكوه» (الأصفهاني، ٢٠٠٨م، ٢:٦٨)، ولكن الشاعر غضَّ عينيه عن هذا كلّه (آذرنوش، ١٣٧٤هـ.ش،

1. Generatively Vs Stagnation
2. Epigenetic Principle
3. Ground Plan
4. A Psychological Totality

ص١٨٨) وإن لم يأمن من مؤامرة الحاسدين؛ فالروايات تزعم أنّ أعدائه بدأوا يحيكون له الحيل والمكائد عند النعمان بن المنذر وذكروا الشاعر أمامه بالسوء وافترّوا عليه وشحنوا قلب الملك بالحقد في أواخر حياته حتى أوقعه النعمان في السجن ثمّ قتله (ابن قتيبة، ١٩٥٨م، ١:٢٢٨؛ الأصفهاني، ٢٠٠٨م، ٢:٧٨-٧١). ويبدو أنّ عديّ بن زيد لبث سنين طوالاً في السجن فكان يستعطف النعمان بأشعاره مذكراً له جهوده السياسيّة السابقة في تولية العرش:

أَينَ عَنّا إِخطارُنا المالَ وَالأَنـــ
فس إِذ ناهَدوا لِيَومِ المَحالِ[١٦]
وَنِضالي في جَنبِكَ الناسَ يَرمو
نَ وَأَرمي وَكُلُّنا غَيرُ آلِ[١٧]
فَأُصيب الَّذي تُريدُ بِلا غِـــــ
شٍ وَأُربي عَلَيهِم وَأُوالى[١٨]
وَبِعَينيكَ كُلُّ ذاكَ تَخَطَّا
كَ وَيُمضيكَ نَبلُهُم في النِضالِ

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص٥٦).

يبرهن الشاعر في هذه الأبيات على براءته، ويستند بما سعى في سبيل الملك والعرش ولكن النعمان لم يسمع استغاثاته فظلّ عديّ بن زيد يعتذر إليه بأشعار كثيرة تعدّ بواكير نشوء فنّ الإعتذار في الشعر العربيّ عامّة.

فاعليّة الحكمة في شعر عديّ بن زيد

هذه هي المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر عديّ بن زيد العباديّ حسب نظرية إريكسون؛ فكلّ فرد في هذه المرحلة يحمل طابعاً تراجعياً عن كل المراحل السابقة المليئة بالنشاط ومن هنا تنشأ أزمّة هذه المرحلة حيث يفكر الفرد فيما مضى من عمره أو هويته السابقة بكلّ آلامه وأفراحه وفيما يتوّقعه من مصيره في المستقبل؛ إذ هناك علاقة متبادلة بين تجارب الفرد الماضية والمقبلة (يونسي، ١٣٨٣هـ.ش، ص٦١) وأمّا بالنسبة إلى الفاعليّة المكتسبة «فإذا الفرد فكر في نجاحاته الماضية وأظهر اقتناعه بكل ذلك فيشعر بالرّضا والسّلام والقدرة على تقبّل فكرة الموت بشجاعة وهذا هو اكتساب الفاعليّة المرجوّة «الحكمة»[١]. (Erikson, 1963:269; 1968:140) وفي حالـــة العكس إن عدم اقتناعه بكل ذلك وإفراطه في الإحساس وعـــدم قدرته على التكيف المنـــاسب لأعباء هذه المرحلة يعني اكتســـاب فاعليّة «الإزدراء»[٢] أو فـــاعليّة «الظّنّ»[٣] (Boeree, 2006: 14).

إنّ عديّ بن زيد في أواخر العمر أصابته بليّة السجن والتّهمة من جانب أعدائه، فكان من الممكن أن يغلب على تفكيره الشعور بالإزدراء والظّنّ والإغتراب الذي نلمسه كثيراً لكل رجل يقع في مثل هذه المصيبة؛ ولكن لم يكن الأمر كذلك إذ تزخر أشعاره في هذه المرحلة بالحكمة والرّضا عن حياتة الماضية متّعظة بتقلّبات الدّهر:

كفى زاجِراً لِلمَـــرءِ أيـــامُ دهـــرِهِ
تَرُوحُ لَهُ بالواعِظاتِ وتَرتدي
بُليتُ وأبليت الرّجالَ وأصبَحَتْ
سِنونٌ طِوالٌ قدْ أتَتْ دونَ مَولدِي
فَنَفسَكَ فَاحفَظها عَنِ الغيِّ والرّدى
مَتى تُغوِها يَغوِ الّذي بك يقتَدِي
عَنِ المَرءِ لا تَسأَلْ وسَلْ عنْ قرينِهِ
فكلُّ قَرينٍ بالمُقارَنِ يَهتَدي

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص١٠٤).

يعبّر الشاعر في هذه الأبيات عن معان عميقة بعبارات بسيطة تبتعد تماماً عن الغموض؛ فهو قد تقبّل فكرة الموت بشجاعة أو حسب تعبيره صروف الدّهر التي تأتي على كل

1. Wisdom
2. Disdain
3. Presumption

أبناء البشر وتبلغ هذه الفكرة إلى ذروتها في قول آخر له أنشده في سجن النعمان أيضاً:

لما قصّرتُ عن طلب المعالي
فتقصُرُني المنيةُ أو تطولُ

فإنْ أهْلك فقد أبْلَيتُ قَومي
بلاءً كلُّه حَسَنٌ جَميلُ

(م.ن، ص٣٤).

فالشاعر مرّة أخرى تحدّث عن أمجاده الماضية ومكانته العظيمة. تلك الأمجاد التي جعلته قادرا على التعبير عمّا في نفسه من الحكمة، و لم يشعر بالإغتراب والوحدة؛ لأنّ النشأة في المجتمعات الجماعيّة يهيأ للفرد الشعور بالإنتماء إلى الآخرين ويبعده عن العزلة والإغتراب حتى يشعر بالمشاركة والألفة من جانب الآخرين في مواقفه وعواطفه الشخصية التي يتعامل معها (يونسي، ١٣٨٣ه.ش، ص٥٨). وتعطيه موهبة التفكر في الحوادث الماضية وما اضمحلّ من الملوك والأمم؛ أن يخاطب نعمان بن المنذر ممثلاً له القصرين «الخورنق والسّدير»:

وَتَفَكَّر رَبَّ الخَوَرنَقِ إذ أشـــ
رَفَ يَوماً وَلِلهُدى تَفكيرُ

سَرَّهُ حالُهُ وَكَثرَةُ ما يَمـــ
لك وَالبَحرُ مُعرَضاً وَالسَّديرُ

فَارعَوى قَلبُهُ وَقالَ فَما غَبْـــ
طة حَيٍّ إلى المَماتِ يَصيرُ

(م.ن، ص٨٩).

فقد ورد في الأبيات ذكر «الخورنق والسّدير» القصرَين المنسوبين إلى النعمان بن امريء القيس المعروف بالنعمان الأكبر (انظروا: جواد علي، ١٩٩٣م، ١٩٩:٣؛ الأبشيهيّ، ١٩٩٩م، ٥٦٩:٢) ويقال أنّ بنائهما كان بأمر من يزدجرد بن سابور الذي كان يبحث عن مكان مطبوع لبناء قصره فذكر له الحيرة، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان وأمره ببناء الخورنق (ابن الأثير، ١٩٨٧م، ٣٠٧:١؛ الطبري، ١٩٦٨م، ٦٥:٢) وقد ارتبط ذكر قصر الخورنق بذكر بانيه «سنمّار الرّومي» الذي ضرب به المثل في كتب الأدب (الميداني، ١٩٥٥م، ١٥٩:١). إنّ عديّ بن زيد فقد ضرب مثلاً بهذين القصرين للنعمان بن المنذر حتى يعرّض له أنّ الموت لا محالة يدركه فلا يَغتَرّ بالعرش.

إنّ هذه الأشعار التي أنشدها عديّ بن زيد في سجنه تدلّ على ثقافته التي أخذها من الفرس كما أنّ الشاعر في تنظيم أفكاره وعرضها استخدم بعض الحوادث المرتبطة بتأريخ الفرس واسترسل في ذكر تلك الحوادث لإبراز فكرته الرئيسيّة التي كان يبتغي وراء أشعاره؛ كما يذكر في سياق الحديث عن العبرة من الموت هجمة كسرى على الأحباش في اليمن بقوله:

سَاقتْ إليها الأَسْبابَ جُنْدُ بَني الــ
أَحْرارِ فُرْسانُها مَواكِبُها[19]

حَتَّى رَآها الأَقوالُ مِنْ طَرَفِ الـْ
مِنْقَلِ مُخْضَرَّةً كَتائِبُها[20]

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص٤٦).

الشاعر في هذين البيتين يشير إلى الأحباش الذين كانوا يعاملون الحميريين في اليمن معاملة سيئة حتى عزم الناس تحرير بلدهم من إحتلال الأحباش فطلبوا من القيصر النجدة، لكنّه لم يجبهم ثمّ طلبوا من كسرى النجدة وأنجدهم هذا الأخير يقصد السيطرة على طريق التجارة عبر البحر الأحمر (أنظروا: الطبري، ١٩٦٨م، ١٤٤:٢-١٣٩، آذرنوش، ١٣٧٤ه.ش، صص٢٢٣-٢٢١) وبذلك انتهى عهد الأحباش في اليمن.

نموذج آخر من أشعاره التي تتّصل بذكر تاريخ ملوك الفرس وحروبهم تدلّ على أنّه كان قد اطّلع على أخبار الأمم الماضية، خاصة أخبار ملوك الفرس حين يقول:

وَالحَضرُ صابَت عَلَيهِ داهِيَةٌ

من فَوقِهِ أَيِّدٌ مَناكِبُها[٢١]

رَبِيَّةٌ لَم تُوَقِّ وَالِدَها

لِحُبِّها إِذ أَضاعَ راقِبُها[٢٢]

فَأَسلَمَت أَهلَها بِلَيلَتِها

تَظُنُّ أَنَّ الرَئيسَ خاطِبُها

فَكانَ حَظُّ العَروسِ إِذ جَشَرَ الْصُّبْـــ

ـحُ دِماءً تَجري سَبائِبُها[٢٣]

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص٤٧).

فقد أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى حصن «الحضر» الذي كان حصناً عظيماً على شاطئ الفرات وكان صاحبه «الضيزن»، وفتحه سابور الساسانيّ مستعينا بـــ«نضيرة بنت الضيزن» التي عشقت سابور وخانت أباها ففتح سابور الحصن، وقتل أباها وتزوجّها (ابن الأثير، ١٩٨٧م، ١:٢٩٨) وقد نقل أكثر من مؤرّخ أنّ الملك الساسانيّ تدبّر فيما صنعت «النضيرة» بأبيها فخاف منها وأمر بها فربطت غدائرها بفرسين جموحين، ثم أخلي سبيلهما فقطّعاها (المسعودي، ١٩٧٣م، ٢:٢٥٧؛ ابن كثير، ١٩٩٧م، ٢:١٧٣؛ الطبري، ١٩٦٨م، ٢:٥٠).

كان عديّ بن زيد أواخر العمر يتحدّث في معظم أشعاره عن الحياة وما يلازمها من الزوال مستعيناً بأسلوب قصصيّ اتّخذ فيه من تاريخ الفرس وسيلة إلى الحكمة والموعظة والعبرة؛ لأنّ الثقافة الفارسيّة كانت قد سيطرت على نفسيته، وكانت هذه الثقافة في الحقيقة قد أثّرت بشكل بارز على العرب الساكنين في جنوب العراق في الحيرة بفعل نفوذ الفرس السّياسي والعسكريّ على هذه المنطقة ولعلّ القصص الأسطوريّة التي كان النضر بن الحارث يروى في مواجهة الدعوة النبويّة من أشهر الأدلّة على هذا الإدعاء؛ إذ كان قد قدم الحيرة وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس فكان إذا جلس رسول الله (ص) مجلساً، خلفه في مجلسه ثمّ كان يحدّث الناس عن ملوك فارس وأبطالهم الأسطوريّين حتى يدّعي أنّه أحسن حديثاً من النبيّ الأعظم (أنظروا: ابن هشام، ١٩٩٠م، ١:٣٢٨).

الصورة الشعريّة وملامحها الحضاريّة

بغضّ النظر عمّا ذكرنا يمكن لنا أن نرصد بعض ملامح الأثر الفارسي في شعر عديّ بن زيد من زوايا جديدة مثل الموضوعات الشعريّة، المعجم الشعري، التشابيه والإستعارات، البنية الموسيقيّة، الخ، فنحن إذا رصدنا بعض الصور الشعريّة في ضوء علاقة الشاعر بالثقافة الفارسيّة وبيئته الحضريّة وجدنا أنّ الموضوعات الّتي طرقها الشاعر لم تتسم بجفاوة البادية والخشونة بل يغلب عليها طابع حضاريّ خاصّ؛ فالشاعر مثلاً قد عدل عن بعض الموضوعات الشعريّة الجاهليّة مثل وصف الناقة الذي كان من الخصائص العامّة المسيطرة على الشعر الجاهليّ عدل إلى موضوعات ملائمة مع ثقافته وحياته؛ كما ورد في ديوانه أشعار كثيرة في وصف الفرس فإنّ وصف الفَرس حلّ محلّ وصف الناقة في شعره؛ لأنّ الناقة كانت مطية الأعرابيّ القاطن في البادية بينما الفرس مطيّة الرجل المتحضّر المترف (انظروا: ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ٧٤، ٤٤). وإذا نظرنا أيضاً في بعض حكمه التي قد شغلت مساحة كبيرة من ديوانه نجد أكثرها حصيلة ما وصل إليه من التجارب في بيئته الثقافية. كما نشاهد في قوله:

و لا تُفشِينْ سِرّاً إلى غيرِ حِرزة

و لا تُكثرِ الشّكوي إلى غيرِ عابدِ[٢٤]

فيا رُبَّ شَجـــنٍ يسرُّك شامِـــتاً

و مولـــي وإنْ قرَّبَتهُ مُتباعِدِ

(م.ن، ص ٩٧).

إنّ الفكرة الرئيسيّة في البيتين هي كفّ النّفس عن افشاء السرّ والشكوى في غير محلّه. لسنا مبالغين في القول إذا ادعينا أنّ مصدر هذه الحكمة هي الخبرة السياسيّة التي اكتسبها الشاعر من طبيعة عمله ومهمّته في البلاط الساسانيّ، فإفشاء السرّ قد يجلب الموت للفرد في القصور التي تملأها المكائد والدسائس. وهذا هو ضرب من الشعر العقليّ الذي قلّما ورد في الشعر العربي القديم ولكن الحضارة الفارسيّة التي ازدهرت بكل معالمها السياسيّة، والدينيّة، والإقتصاديّة في الحيرة (صفري، ١٣٨١هـ.ش، ص١١) ساعدت على توسّع هذه المعاني العقليّة في الشعر العربيّ عامّة وقد أشار أيضاً بعض النقّاد إلى هذا الأثر الحضاريّ بقولهم: «وكان لعرب الحيرة وأمرائهم – وكلّهم من جانب الفرس والحيرة تحت سيطرة الفرس– أثر كبير في الأدب العربيّ والشعر العقليّ للعرب عامّة» (فتحي أحمد، ١٩٧٤م، ص ٣٦).

من جانب آخر قد تكون بعض التشابيه والصوّر الشعريّة عند عديّ بن زيد العباديّ صدىً للواقع الإجتماعيّ السائد في البيئة المحيطة به. فهو مثلاً قد يأتي بتشبيه تمثيليّ بديع يعرض فيه حكمته لنقل المعنى الذهني إلى المخاطب في صورة محسوسة:

ولاتك في الإلحاح في إثْرِ فائِتِ
تحاولُ منه فائتاً ليس يطلَبُ
كصانِعَةِ القَزِّ التي كلّما ارتَدَتْ
بِصَنعَتِها كانتْ إلى اللُّبْثِ أقْرَبُ

(ديوان عديّ بن زيد، ١٩٦٥م، ص ١١٦).

إنّ الشاعر في هذين البيتين ينهي الإنسان عن أن يلحّ في طلب شيء قد فاته وإلّا سيصبح كدودة القزّ التي كلّما ازدادت على نفسها لفّاً ازدادت من الخروج بعداً. هذه الصورة التشبيهيّة فقد استمدّت من واقع الحياة الحضريّة ومعطياتها؛ فبما أنّ عديّ بن زيد نشأ في خفض من العيش ونعم بلين الحياة وغضارتها فكان يتعمّق فيما حوله ذلك لأنّ «الظروف الحياتيّة المؤاتية تسهّل للإنسان الراحة والإطالة في التّفكير بما يحيط به فينظر بعمق إلى باطن الأشياء ويتعمّق أكثر في موضوعاته» (الحاج حسن، ١٩٩٧م، ص٢١).

النكتة الأخيرة التي تجدر الإشارة إليها هي أنّ أشعار عديّ بن زيد من الناحية الإيقاعيّة أيضاً قد تأثّرت بالحضارة الفارسيّة وابتعدت عن الخصائص الموسيقيّة السائدة في الشعر الجاهليّ؛ فالشاعر قد أكثر من البحور الخفيفة كالرّمل والخفيف والسّريع والوافر، وهذه الأوزان القصيرة كانت شائعة في الحيرة التي كانت ذا طابعة حضاريّة (المعريّ، ١٩٩٣م، ص١٩٧) خاصّة بحر الرّمل الذي قيل أنّه استعير من الوزن البهلوي ذي الثّمان مقاطع (انظروا: مقدمة الديوان، ص١٨) وربّما لم يبتعد عن الموسيقي الفارسية التي كان شائعاً في الحيرة (صفري، ١٣٨١هـ.ش، ص١٥) وهذا كلّه يؤكد على وجود أثر فارسيّ واضح في شعر عديّ بن زيد العباديّ.

نتيجة البحث

من خلال استعراض بعض النماذج الشعريّة لعديّ بن زيد العباديّ يتّضح أنّ اتّصال الشّاعر بالبلاط الساسانيّ منذ طفولته كان نقطة تحوّل في حياة الشاعر حيث كانت البيئة الفارسيّة الساسانيّة سبباً في توسيع أفقه الفكريّ وتوفّر الظروف الملائمة له حتى يتمتّع بالنموّ النفسيّ وتزدهر مواهبه. ومثل هذا النموّ لايحدث – وفق آراء علماء علم النفس الاجتماعيّ–إلّا للفرد الذي يحميه المجتمع ويوفّر له تجربة جديدة وقد أشار إريكسون في نظريّته المعروفة في

علم النفس الاجتماعيّ إلى دور المجتمع ومناخه الملائم في النموّ النفسيّ لدى الفرد وهذا ما نلمسه عند عديّ بن زيد العباديّ عن طريق إدراكه لذاته ودوره وإحساسه الإيجابي بالولاء والتعايش مع المجتمع الساسانيّ وابتعاده عن التقاليد السلبيّة الجاهليّة مثل التعصّب والهجاء والخناء. من جانب آخر قد ترك الشاعر تلك التقاليد العربيّة حتى تحلّ محلّها عادات فارسيّة تتلائم مع ثقافته الجديدة.

فقد انعكست تقاليد الفرس وأفكارهم وأخبارهم وتاريخهم في السياسة والملك لدى عديّ بن زيد العباديّ وقد تسرّبت في أشعاره ألفاظ وعبارات وأفكار فارسيّة كثيرة تلازمها تراكيب رشيقة وصوّر متألّقة تشيع فيه الرقة والسّلاسة وعندما نقارن شعره بسائر أشعار الجاهليّين نلمس فيه ملامح الأثر الفارسيّ تتجلّى بالوضوح؛ كما أنّ الشّاعر حسب ما ورد في أشعاره – وتؤيده أخبار كتب الأدب أيضاً– لم يخرج عن النموذج الأريكسوني الذي أشرنا إليه سابقاً عند تنظيم أفكاره الشعريّة وعرضها في مراحل عمره.

جدول رقم (١) مراحل العمر؛ أزماتها وفاعلياتها في نظرية إريكسون

Stage المرحلة	Syntonic Vs Dystonic القطب الإيجابي مقابل القطب السلبي	Virtue الفاعليه	Malignancy الإفراط في القطب السلبي	Maladaptation الإفراط في القطب الإيجابي
Infancy السنة الأولى	Basic trust Vs Mistrust الثقة مقابل عدم الثقة	Hope الأمل	Withdrawal الإنسحاب	Sensory Maladjustment سوء تقدير الأمور
Younger Years السنة الثانية والثالثة	Autonomy Vs Doubt الإستقلال مقابل الشك	Willpower الإرادة	Compulsion القسرية	Impulsivity الإندفاع
Early Childhood الطفولة المبكرة	Initiative Vs Guilt المبادرة مقابل الشعور بالذنب	Purpose الغائية	Inhabitation الكبح	Ruthlessness إنعدام الرّحمة
Middle Childhood الطفولة المتوسطة	Industry Vs Inferiority الإجتهاد مقابل الشعور بالنقص	Competence القدرة	Inertia القصور	Narrow Virtuosity محدودية الكفاية
Adolescence المراهقة	Identity Vs role Confusion هوية الأنا مقابل اضطراب الدور	Fidelity التفاني	Role Repudiation تجاهل الدور	Fanaticism التعصّب
Early Adulthood الشباب	Intimacy Vs Isolation الألفة مقابل العزلة	Love الحبّ	Exclusivity الحصرية	Promiscuity تعدّد العلاقات الجنسية
Middle Adulthood أواسط العمر	Generatively Vs Stagnation الإنتاجية مقابل الركود	Care الإهتمام	Rejectivity الرفض	Overextension المبالغة في التفرع
Later Adulthood أواخر العمر	Ego integrity Vs Despair التكامل مقابل اليأس	Wisdom الحكمة	Disdain الإزدراء	Presumption الظّنّ

الهوامش

١. اطبأنّ: اطمأنّ، اليفاع: العالي
٢. الدأب: العادة
٣. الجزع و دومة: اسمان لموضعَين قرب الحيرة، جيرون: اسم موضع بدمشق وكان من المتنزهات القديمة
٤. الشمول: الخمر، بشر: اسم علم، القهوة: الخمرة، المزة: لذيذة الطعم، السخين: الساخن والحارّ

٥. الضرّة: الشدّة، الشرقات: الممتلئات، الرواد ع: المتدهنة بالطيب، ج الرادعة.

٦. الإفترار: الإنكسار المستحسن في العين، الخدور: الستور

٧. الدمقس: الحرير فارسيّ معرّب، الأكفة: ج الكفاف و هو من الشيء الحرف الذى يحيط به

٨. القطائف: ج القطيفة و هي كساء له أهداب، الخدور ج الخدر وهو ستر سُمدّ للمرأة، الأنماط: ج النَّمَط و هو الثوب الملوّن

٩. سبا: أسر، الرتل: المنتظم

١٠. الددن: اللهو، الأذن: الإستماع

١١. ارجحن: مال و اهتزّ

١٢. اللزاز: المقارن وغيرالمفارق، لم أعرّد: لم أحجم، العصيب: الشديد

١٣. اللحاء: ما على العود من القشر، العسيب: جريد النخل

١٤. الأريب: الذكيّ و ذوالفطنة

١٥. الأوتاد: ج الوتد و هو ما رزّ في الأرض من الخشب والحديد حتى يشدّ الحبل به، الإصار: حبل صغير يشدّ به أسفل الخباء

١٦. إحطار المال: بذل المال، ناهد: ناهض، المحال: الكيد

١٧. غير الآل: غير المقصر

١٨. آرب عليه: غالبه في الذكاء، أوالي: من أَوِلَ أي سبق

١٩. بنى الأحرار: الفُرس

٢٠. الأقوال: ج القيل و هو الملك من ملوك حمير، المنقل: الطريق المختصر، المخضرّة: الكثيرة الشديدة

٢١. الأيّد: القويّ، المناكب: الأعالي

٢٢. ربيّ: من ربّى يربّي، فعيلة بمعنى مفعول

٢٣. جشر: أضاء، السبائب: الطرائق

٢٤. الحرزة: الصائن للسرّ

المصادر و المراجع

الف– العربيّة

[١] الأبشيهيّ، بهاء الدين أبوالفتح (١٩٩٩م)، المستطرف في كل فنّ مستظرف، المجلّد الثاني، تحقيق إبراهيم صالح، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر.

[٢] الأصفهاني، أبو الفرج على بن حسين (٢٠٠٨م)، الأغاني، المجلّد الثاني، تحقيق إحسان عبّاس وآخرون، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر.

[٣] ابن الأثير الجزري، عزّالدين محمد بن عبد الواحد (١٩٨٧م)، الكامل في التاريخ، المجلّد الأوّل، تحقيق أبى الفداء عبدالله القاضي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلميّة.

[٤] ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن (١٩٩١م)، الإشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، بيروت، دارالجيل.

[٥] ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (١٩٥٨م)، الشّعر و الشّعراء، المجلّد الأوّل، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، مصر، دارالمعارف.

[٦] ابن كثير القرشيّ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء (١٩٩٧م)، البداية والنهاية، المجلّد الثاني، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، الرياض، مركز البحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة.

[٧] ابن هشام المعافريّ، أبومحمد عبد الملك (١٩٩٠م)، السيرة النبويّة، المجلّد الأوّل، تعليق عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربيّ.

[٨] أرسطو طاليس (١٩٧٣م)، فنّ الشعر، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الثقافة.

[٩] الحاج حسن، حسين (١٩٩٧م)، الأدب العربي في عصر الجاهليّة، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسّسة الجامعية للدّراسات و النّشر و التّوزيع.

[١٠] شلبي، أحمد (١٩٩٦م)، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلاميّة، المجلّد الأوّل، الطبعة الرابعة عشرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصريّة.

[١١] شير، أدّي (١٩٨٨م)، الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار العرب للبستاني.

[١٢] الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (١٩٦٨م)، تاريخ الرّسل والملوك، المجلّد الثاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، مصر، دار المعارف.

[١٣] عامر، فتحي أحمد (١٩٧٤م)، في مرآة الشعر الجاهلي، خارطوم، دار الإتّحاد العربي للطّباعة.

[١٤] عديّ بن زيد العباديّ (١٩٦٥م)، الديوان، تحقيق محمد جبار المعيبد، الطبعة الأوّلى، بغداد: شركة دار الجمهوريّة للطباعة و النشر.

[١٥] العقاد، عباس محمود (١٩٦٨م)، ابن الرومي حياته من شعره، الطبعة السابعة، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

[١٦] علي، جواد (١٩٩٣م)، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلّد الثالث، الطبعة الثانية، بغداد، ساعدت على انتشاره جامعة بغداد.

[١٧] غنيم، اسمت (١٩٨٧م)، تاريخ الامبراطوريّة البيزنطيّة، لاط، الاسكندريّة، دار المعرفة.

[١٨] المسعودي، أبو الحسن على بن حسين الشافعي (١٩٧٣م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلّد الثاني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الفكر.

[١٩] المعريّ، ابو العلاء (١٩٩٣م)، رسالة الغفران، تحقيق وشرح عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ، الطبعة التاسعة، مصر، دارالمعارف.

[٢٠] المنجد، صلاح الدّين (١٩٧٨م)، المفصّل في الألفاظ الفارسية المعرّبه في الشّعر الجاهلي و القرآن الكريم والحديث النبويّ، الطبعة الأولى، طهران، بنياد فرهنك ايران.

[٢١] الميداني النيشابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد (١٩٥٥م)، مجمع الأمثال، المجلّد الأوّل، حقّقه وضبطه محمد محيي الدين عبدالحميد، لا.ط، القاهرة، مطبعة السنة المحمديّة.

[٢٢] النويهي، محمّد (١٩٧٠م)، نفسيّة أبي نواس، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجي.

[٢٣] الهاشمي، محمد علي (١٩٦٧م). عديّ بن زيد العباديّ الشاعر المبتكر، الطبعة الأولى، حلب: المكتبة العربيّة.

ب- الفارسيّة

[٢٤] آذرنوش، آذرتاش (١٣٧٤هـ.ش)، راههای نفوذ فارسی در فرهنگ و زبان عرب جاهلی، ط٢، طهران، انتشارات طوس.

[٢٥] آيت الله زاده شيرازي، سيدمرتضى (١٣٥٨هـ.ش)، «تحقيق در روابط امراى حيره با قبايل عرب يا راههای نفوذ بر اقوام جزيرة العرب»، مجله مقالات و بررسی‌ها، عدد ٣٣-٣٢، فروردين٥٨، طهران، نشر جامعة طهران، كلية الالهيات و المعارف الإسلامية.

[٢٦] اكبرزاده، نسرين (١٣٧٦هـ.ش)، «هويت من در الگوی مارشيا و بی‌ريشگی در نظريه اريكسون»،

مجلة العلوم الإنسانية، عدد ٢٢/ صيف ١٣٧٦، طهران: جامعة الزهراء(س).

[٢٧] صديق سروستانی، رحمت الله، و سيد ضياء هاشمی (١٣٨١هـ.ش)، «گروههای مرجع در جامعهشناسی و روانشناسی اجتماعی با تأکيد بر نظريههای مرتن و فستينگر»، فصلية العلوم الإجتماعية، عدد٢٠، خريف وشتاء١٣٨١، طهران: جامعة طهران.

[٢٨] صفری، مسعود (١٣٨١هـ.ش)، «حيره عامل انتقال فرهنگ»، مجلة تاريخ الإسلام، عدد ١٠، صيف١٣٨١، قم: جامعة باقرالعلوم.

[٢٩] صليبی، ژاستنت (١٣٧١هـ.ش)، «مقدمهای بر روانشناسی اجتماعی کاربردی»، فصلية فرهنگ، عدد١٢، خريف ١٣٧١، طهران: پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی، (مركز العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية).

[٣٠] کياني، مسعود (١٣٨٦هـ.ش)، «نقد روانشناختی»، شهرية ادبيات داستانی، عدد ١١٢، آبان و آذر ١٣٨٦ ، طهران: نشر سورة مهر.

[٣١] ياوري، حورا (١٣٧٢هـ.ش)، «تأملی در نقد روانشناختی و رابطه روانکاوی و ادبيات در ايران»، مجلة ايران نامه، عدد ٤٥، شتاء ١٣٧٢، طهران: بنياد مطالعات ايران (مركز الدراسات الإيرانية).

[٣٢] يونسي، سيدجلال (١٣٨٣هـ.ش)، «چگونه در غم و شادی فرو میرويم؛ نگاهي تحليلي به ديدگاههای شناختی و روانشناسی اجتماعي»، فصلية تازههای روان درماني، عدد ٣٤-٣٣، السنة التاسعة، مشهد.

ج- الإنجليزيّة:

[33] Berger, K. S. (2001). The Developing Person Through Life Span. Fifth edition. New York. Worth Publisher.

[34] Boeree, George. (2006). Personality Theories. Shippensburg University version. Psychology Department.

[35] Erikson, Erik. (1963). Childhood and society. New York: Norton. (First published in 1950.

[36] Erikson, Erik. (1968). Identity: youth and crisis. New York: Norton.

[37] Erikson, Erik. (1980). Identity: and the Life Cycle. New York: Norton. (First published in 1959.

[38] Evans, Richard. (1967). Dialogue with Erik Erikson. New York: Harper & Row.

[39] Katchadourian, Herant. (1985). In Erikson, Erik (Ed). Adulthood. New York : Norton.

[40] Markstrom, Carol ; et al (2007) The Psychosocial Inventory of Ego Strengths: Examination of Theory and Psychometric Properties. Journal of Adolescence, Adolescence, Feb, Vol. 30 (1).

[41] Markstrom, Carol; Kalmanir, Heather (2001). Linkages Between the Psychosocial Stages of Identity and Intimacy and the Ego Strengths of Fidelity and Love. Identity, Apr, 1 (2).

[42] Waterman, Alan; Whitboume, Susan. (1982). Androgyny and Psychosocial Development among College Students and Adults. Journal of Personality, Jun, 50 (1).

تأثیر تمدّن ایرانی در شعر عدیّ بن زید عبادی از دیدگاه روان‌شناختی اجتماعی

حسین قائمی اصل[١]، نصرالله شاملی[٢]، سید رضا سلیمانزاده نجفی[٣]

تاریخ دریافت: ١٣٩٠/١٠/٢٩ تاریخ پذیرش: ١٣٩١/٤/١٩

عدیّ بن زید عبادی یکی از بزرگ‌ترین شعرای عصر جاهلی عرب است و باتوجه به این‌که با دو زبان عربی و فارسی آشنایی داشت، یکی از مترجمان و نویسندگان دربار ساسانی شد و بعد از آن به‌عنوان سفیر میان پادشاه ساسانی و دربار روم منسوب گردید. این ارتباط او با محیط متمدّن ایرانی و آشنایی با فرهنگ جدید، رشد و بالندگی را در روح وجان شاعر پرورش داد و او را از آداب و سنت‌های غلط رایج میان اعراب جاهلی دور ساخت وچنان تحوّل فرهنگی بزرگی در رفتار و اندیشه این شاعر پدید آورد که اصول، آرمان‌ها و الگوهای اجتماعی والایی در سطوح فردی، اجتماعی، و شغلی برای خود برگزید. چنین تغییر رفتاری، مصداق همان چیزی است که اریک اریکسون در نظریه روان‌شناختی اجتماعی خود درباره هر انسانی به آن اشاره کرده است که در طی مراحل زندگی با الگوهای جدید اجتماعی وفرهنگی روبه‌رو می‌شود.

اخبار و اشعار عدیّ بن زید عبادی در کتب ادبی حکایت از وجود یک ارتباط آشکار میان مراحل زندگی این شاعر در دربار ساسانی و پایبندی او به الگوهای اجتماعی متمدّن دارد که طبق نظریه مشهور اریکسون ناشی از تأثیرپذیری این شاعر از محیط فرهنگی خود دارد.

مقاله حاضر به روش وصفی به دنبال بررسی ابعاد این ارتباط در اشعار او از بعد مفاهیم، موضوعات وتصاویر شعری بوده تا نشانه‌های تمدّن ایرانی را در سبک شعری او که تا حدودی در قیاس با شعرای عصر جاهلی متفاوت است هرچه بیش‌تر اثبات نماید.

کلید واژگان: عدیّ بن زید عبادی، روان‌شناختی اجتماعی، تمدّن ایرانی، حیره، شعر جاهلی.

---

١. دانشجوی دکترای زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان، Email: ghaemiasl@yahoo.com

٢. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان.

٣. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه اصفهان.

The Effect of Persian Civilization on Udai Ibn Zaid al-Ebadi's Poetry: From Social-Psychological Perspective

Hossein Ghaemiasl[1], Nasrollah Shameli[2], Sayyed Reza Solaymanzadeh Najafi[3]

Received: 2012/1/19 Accepted: 2012/7/9

Abstract

Udai Ibn Zaid al-Ebadi was one of the greatest Arab poets in the Pre – Islamic era. Being a proficient in the two Arabic and Persian languages, he became one of the translators and writers in Sassanid court, then he was appointed as an ambassador to the Roman court. His connection with Persian civilization and his familiarity with new culture nurtured growth and development in his spirit and soul and distanced him from wrong customs and traditions among the ignorant Arabs and brought about cultural evolution in his behavior and thought so that he chose lofty social patterns, wishes and principles in his personal, social and occupational levels and this is the same as what Eric Ericson pointed out to in his social-psychological theory about each human being that one could encounter with during his life with new social and cultural patterns.

News and poems of the Udai Ibn Zaid al-Ebadi in literary texts suggest that there is a reasonable relationship between this poetic life in Sassanid court and his commitment to social civilized patterns that according to Ericson's theory is due to his impression from his cultural environment. The aspects of this close relationship from the point of views of concepts, subjects, and poetic forms could be investigated so that we can percieve the signs of Persian civilization in his poetic style more that is to some extent different from ignorant age poets.

Keywords: Udai Ibn Zaid Al-Ebadi, Social-Psychological, Persian Civilization, Hira, Pre-Islamic Poetry

1. Ph.D Student of Arabic Literature- University of Isfahan, Email: ghaemiasl@yahoo.com
2. Associate Professor of Arabic Literature- University of Isfahan
3. Assistant Professor of Arabic Literature- University of Isfahan